الشفاء وموهبة اللغات المختلفة ويُبيّن لاصحابها محلًّا ممتازًا في المذبح . ومن المعلوم ان وجود هذه المواهب في البيعة بنوع مألوف قد انقطع منذ القرن الثالث

الفصل السادس

في بعض شطوط هذا الكتاب

مدار هذا الفصل على ما جاء في كتاب العهد مع أنهُ مستقيم المعتقد من العبارات المبهمة او غير المألوفة ومن الآراء الغريبة او الاقوال المخالفة احيانًا لنصّ الكتاب المقدّس

الفصل السابع

في وطن المؤلّف

يُبحَث فيهِ عن البلاد التي عاش فيها مؤلف الكتاب . ويُظَنّ انها بلاد الشام

(ستأتي البقيّة)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٤ دير القلعة

انّ آثار الاقدمين في مشارف لبنان ليست باقلّ شأنًا منها في سيف البحر فهيّا بنا أيها القارئ اللبيب قبل تقضّي البحث عن عاديّات الساحل نرقى الاعالي لاستقراء بعض هذه المآثر

وليس في جوار بيروت من هذا القبيل مكان اخطر شأنًا وأحسن مقامًا من الأبنية المعروفة اليوم بدير القلعة . وهذه الرسوم القديمة موقعها بقرب قرية مشهورة اسمها بيت مري تعلو فوق سطح البحر نحو ٧٣٠ مترًا في شرقي بيروت على مسافة ١٨ كيلومترًا منها يتقاطر اليها اهل المدينة في وقت اشتداد القيظ عند الساحل

وليت مري اليوم طريق يوصلها ببيروت تجري عليهِ العَرَبات غير انّ من يركبها

يكابد عناء عظيماً ويلتحف بثوب من الغبرة تثيرها قوائم الخيل ودواليب العَرَبات. وما ذلك الّا لقلّة الاعتناء بتوثير الطريق ورصها بالحجارة. فقراراً من آفتها آثرنا مرارا الصعود الى بيت مري مُشاةً مع علمنا انّ في المشي نفعاً للصحّة وتزهةً للابصار فانّ العين تقرّ لهذه المناظر الجميلة والاذن ترتاح لصدح الطيور ويتنسّم المُنشقّ الريحَ الطيّبة في وسط غابات الصنوبر والشربين

وكان آخر مرّة توقّلنا الجبل للبحث عن آثار دير القلعة في ٢٤ تشرين الاوّل الماضي صباحَ يوم هبّ نسيمهُ وصفا اديمهُ فما بلغ بنا المسير الى غايتنا حتى اخذنا نُسرّح الطرف في بقايا هذه العاديّات الخطيرة

والحقّ يقال انّ من يسير بين هـذه الرسوم الدائرة والطلول الدارسة لا يلبث ان يدرك ما كانت عليهِ هذه الابنية من العظمة والبهاء قبل خرابها

ولكن تُرى ماذا كانت هذه العمارة القديمة التي تُنبئ بهـا هذه الآثار الطامسة المنبئة على مسافة كبيرة. ذلك سؤال لا تُحيرهُ كتبُ القدماء وتآليفُ المحدثين وانّما تجيبنا عليهِ الحجارة نفسها فانّ لها لسانًا ناطقًا فصيح المقال. وإنْ نطقها الّا بالكتابات العديدة التي حُفرت فيها. فاذا أعملنا فيها نظر الفكر وقابلنا بين الافادات المستخلصة من مضمونها وهندسة هذه الآثار القديمة ثمّ عرضنا ذلك على ما نعرفهُ من تعبُّدات الفينيقيين فلا جرم اننا نحصل على معرفة اصل هذه الابنية وغايتها ونُجمل احوالها

ليس من اثر يفيدنا اسم دير القلعة القديم ولعلّنا لا نتّصل الى معرفتهِ في المستقبل امّا اسمهُ الحالي فقد اطلقهُ العرب على آثار أُخرى في انحاء سوريّة فانّهم يدعون بالقلعة كلّ بناء متّسع الارجاء واثق الاركان محكم البنيان. وقد اخبرنا احدُ فضلاء الرهبان الذين يسكنون الدير المجاور لهذه الاخربة ان اسم هذا المقام « بيروتُ العتيقة » وجدهُ في صكّ مبيع ملكيّ كُتب في القرن الماضي . فان ثبت على دير القلعـة هذا اسم صحّ عن بيروت ما اخبرهُ بطلميوس الجغرافي عن جبيل اذ قال انّهُ كان لها مقامٌ يدعى جُبيل العتيقة (Palæbyblos) وانّ موقعهُ بعيدٌ عن الساحل (μεσόγειος). وهذا قولٌ اوردناهُ هنا على علّاتهِ ولا نجهل انّ آراء العلماء متضاربة في تعيين مكان بيروت العتيقة بل وفي وجوده لكنّ تقليد العامّة ربّما كان دليلًا يهتـدي بهِ العلماء لمعرفة الآثار القديمة

وعلى كلّ حال لا يسوغ ان ننسب هذه الابنية لعهدٍ سابق زمن ظهور النصرانيّة فانّ اقدم كتابة وُجدت في هذه الاخربة نشرها الرحّالة سترين (١ ذُكر فيها « اغريبا » ترتقي الى نحو القرن الاوّل بعد المسيح

وقد وفّقنا الله الى اكتشاف كتابة نُقشت في حجارة هذه المباني ورد فيها اسم القيصر ادريان في بدء القرن الثاني للمسيح . وليس مرادنا بذلك ان هذا المقام كان قبل ذلك خالياً من الآثار . كلّا . فانّنا على يقين انّ الفينيقيين شيّدوا فوق هذه المشارف معبدًا كانوا يحجّون اليه او على الاقلّ مذبحًا او نصبًا في غابة كانوا يقضون عنده مناسكهم على مثال المشارف والانصاب التي ذكرها الكتاب الكريم (٢ . فمن ثمّ نظنّ انّ دير القلعة كان يقوم لبيروت مقام هيكل افقا لجبيل ومقام هيكل بيتوكيكي (Bætocecé) (٣ (حصن سليمان) لجزيرة ارواد . وكما انّ هذين المعبدين سبقا النصرانية فكذلك تقدّمها معبد دير القلعة . وما يؤيّد رأينا اسم الاله الذي عبده الرومان في هذا الهيكل فكانوا يدعونهُ بعل مرقد (Baal Marcod) وهو بلا شكّ اسم فينيقيّ

اما بقايا الهيكل الماثلة الى يومنا هذا فليس فيها ما يدلّ على مثل هذا القدم كما انّ الكتابات لا تنبئ بذلك . واذا قابلنا هيئة هذه البنايات والموادّ المتّخذة لها وطريقة بنائها وجدنا انها تدخل في حيّز الابنية المعروفة بالجدّاريّة (cyclopéens) لضخمها وكبرها . ولا يخلو هذا الهيكل من آثار عجيبة كاعمدة وحجارة عظيمة تضاهي بعض حجارة بعلبكّ وسواريها . لكنّ اصحاب العاديّات يتّفقون اليوم على أنّ قدم الابنية لا يناسب دائمًا عظمها وكبرها بل ربّ بناء قديم صبر على ممرّ الزمان بخلاف عمارة اخرى احدث منها ضخمة الحجارة اخفى عليها الدهر قطمس محاسنها

واذا اعتبرت هندسة ابنية دير القلعة لا ترى فيها شيئًا اختصّ به الفينيقيّون دون

---

١) Seetzen : *Reisen* I, 257

٢) راجع مثلًا سفر الملوك الرابع (١٧ : ١٠) حيث ورد عن بني اسرائيل قولهُ : « واقاموا لهم انصابًا وغابات على كل اكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء »

٣) قد تفقدنا حديثًا آثار هذا الهيكل الذي وصفهُ العلّامتان راي Rey : *Archives des Miss. scient.* III, 336 ودوسّو Dussaud : *Voyage en Syrie*, p. 15, Extrait de : la Revue Arch. 1897

غيرهم. والاخرى نسبتها الى الرومان لانَّ منها تلوح طريقتهم في البناء. ويمكن تعدادها بين الآثار الجليلة التي خلّفوها لنا في القرن الثاني والثالث للمسيح ونرجح كونها سبقت عهد هيكل بعلبك الكبير

واذا تفقّدنا المباني المشيّدة في قنّة هذه الربوة رقفنا على غايتها الدينيّة فانَّ هناك خطوطاً صريحة في هذا المعنى يُستفاد منها انهُ بُني ثمّت هيكل على اسم بعل مرقد (١ اله تلك الناحية. وربّما دُعي هذا الاله باسم يوناني (Μηγρεν) لم يستدلّ احد بعد الى معناهُ. والعلّامة الخطير كلرمون غانو يظنّ انَّ هذه الكلمة تدلّ على اسم الاله الشخصيّ وان « بعل مرقد » لقبٌ عُرف به في هذا المكان. وألقابهُ كلّها تنبئ بعظم شأنهِ عند الفينيقيين وسموّهِ بين مصافّ الآلهة الفينيقيّة. ويؤخذ من احدى الكتابات المكتشفة هنالك انَّ الهاً مجهولاً يدعى أَرِمثينوس (Ἀρέμθηνος) بحثّ المتعبّدين لهُ ان ينصبوا المذابح لبعل مرقد

ومعنى اسم هذا الاله وسبب تسميتهِ بمرقد يستخلص من اصل اسمهِ باللغة العبرانية وهي فرع من الفينيقيّة فان « مرقد » مصدر يشتقّ من فعل רָקַד اي رقص وعليهِ يكون بعل مَرْقد اله الرقص والبَسْط. ولا يبعد انَّ هذا الاله هو نفس اله الرقص المعروف عند المصريين باسم « بس » (Bès) وأنَّ المصريين اتّخذوهُ من الفينيقيين. ومن القابهِ التي دُعي بها في الكتابات انَّهُ ملك المآدب والولائم (٢ (Κοίρανε Κώμων). ولعلَّ هذا الوصف دليل على ان قدماء الفينيقيين كانوا يجتمعون بقرب هذا الهيكل للتّصف وتوفير اسباب الهناء كما يصنع اليوم في تلك النواحي بعض اصحاب الملاهي يحذون بذلك دون ان يشعروا حذو اجدادهم (ستأتي البقية)

---

١) والكتابات منها يونانيّة على صورة تقدمة (Κυρίῳ γενναίῳ Βαλμαρκῶδι) او (Θεῷ Βαλμαρκῶδι) ومنها لاتينيّة يدعى فيها هذا الاله « المشتري بل مرقد » (Jovi Balmarcodi) او بالاختصار (J(ovi) O(ptimo) M(aximo) Balmarcodi) راجع : C. I. L., ١٤٤ و Waddington : *Inscrip. grecques et lat. de la Syrie*, n^os 1856-1857 وكتاب كلرمون غانو في الاديانات الشرقيّة الجزء الاول ص ٩٥

٢) راجع Waddington, n° 1855